بسم الله الرحمن الرحيم

مِنْ وَسَائِلِ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ النَّفْسَ فَسَوَّاهَا، وَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، وَكَتَبَ الفَلاحَ لِمَنِ اعْتَنَى بِهَا وَزَكَّاهَا، وَتَوَعَّدَ مَنْ أَهْمَلَهَا وَدَسَّاهَا، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، شَرَعَ الشَّرَائِعَ لِتَزْكِيَةِ النَّفْسِ البَشَرِيَّةِ، وَنَهْجًا لِهَنَاءِ الإِنْسَانِيَّةِ، وَسُلَّمًا إِلَى السَّعَادَةِ الأَبَدِيَّةِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ إِلَى النَّاسِ مُصْلِحًا وَمُزَكِّيًا، وَعَلَى الفَضَائِلِ دَلِيلاً وَمُرَبِّيًا، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الأَطْهَارِ، وَتَابِعِيهِمْ مِنَ المُتَّقِينَ الأَبْرَارِ، صَلاةً وَسَلامًا دَائِمَيْنِ مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَأُوصِيكُمْ – عِبَادَ اللهِ – بِمَا جَاءَ فِي كِتَابِ رَبِّكُمْ، وَصِيَّةً لَكُمْ وَلِمَنْ قَبْلَكُمْ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾(١)، وَاعْلَمُوا – رَحِمَكُمُ اللهُ– أَنَّ حُسْنَ إِدَارَةِ النَّفْسِ وَتَزْكِيَتَهَا، غَايَةٌ اجْتَمَعَتْ رُسُلُ اللهِ عَلَيْهَا، وَشُرِعَتِ الطَّاعَاتُ لِتَحْقِيقِهَا، فَقَدْ تَضَرَّعَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ الحَلِيمُ الأَوَّاهُ، وَوَلَدُهُ إِسْمَاعِيلُ – عَلَيْهِمَا السَّلامُ – أَنْ يَبْعَثَ سُبْحَانَهُ فِي النَّاسِ مَنْ يُزَكِّيهِمْ بِوَحْيِهِ وَهُدَاهُ، قَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِهِمَا: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾(٢)، فَبَعَثَ اللهُ رَسُولَنَا مُحَمَّدًا ﷺ وَبَيَّنَ مُهِمَّتَهُ فِي بِعْثَتِهِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾(٣)، وَتَزْكِيَةُ النَّفْسِ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ عَلَى المُؤْمِنِينَ، قَالَ

(١) سورة النساء / ١٣١ .
(٢) سورة البقرة / ١٢٩ .
(٣) سورة الجمعة / ٢ .

سُبْحَانَهُ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(١)، وكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتضرَّعُ إِلَى ربِّه أَنْ يُزَكِّيَ نَفْسَهُ فيَقُولُ: ((اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا ومَولاهَا))، إِنَّ تَزْكِيَةَ النَّفْسِ وتَنْقِيَةَ السَّرِيرَةِ، ضَرُورَةٌ لاستِقَامَةِ السُّلُوكِ وصَلاحِ السِّيرَةِ، والظَّفَرِ بِالجَنَّةِ ونَعِمِهَا الكَثِيرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ﴾(٢)، وإِذَا كَانَتْ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ بِهَذِهِ المَنْزِلَةِ، وفِي هَذِهِ الدَّرَجَةِ العَلِيَّةِ، فَحَرِيٌّ بِنَا أَنْ نَقِفَ عَلَى أَهَمِّ مَعَالِمِهَا، ونَتَبَيَّنَ الطُّرُقَ المُوصِلَةَ إِلَيْهَا.

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

إِنَّ أُولَى خُطُواتِ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ إِدْرَاكُهَا لِحَقِيقَتِهَا، ومَعْرِفَةُ مَنْزِلَتِهَا مِنْ رَبِّهَا، فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ، ومَنْ عَرَفَ رَبَّهُ سَلَكَ دَرْبَهُ، وقَدْ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى أَنَّ الاعتِرَاضَ عَلَى المُرْسَلِينَ، والتَّنَطُّعَ أَمَامَ دَعْوَةِ أَنْبِيَاءِ رَبِّ العَالَمِينَ، إِنَّمَا تَكُونُ مِنَ المُتَغَطْرِسِينَ المُتَكَبِّرِينَ، قَالَ جَلَّ وعَلا: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾(٣)، إِمَامُهُمْ فِي ذَلِكَ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ، الَّذِي اغْتَرَّ بِنَفْسِهِ ومَعْدِنِهَا، فَأَعْرَضَ عَنْ أَوَامِرِ اللهِ وخَالَفَهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ، قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ، قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾(٤)، وسَارَ عَلَى نَهْجِ إِبْلِيسَ عُتَاةُ الفُجَّارِ، كَفِرْعَونَ الَّذِي اغْتَرَّ بِمُلْكِهِ ومَا تَحْتَهُ مِنَ الأَنْهَارِ، قَالَ

(١) سورة آل عمران / ١٦٤ .
(٢) سورة طـه / ٧٦ .
(٣) سورة الأنعام / ٩٢ .
(٤) سورة الأعراف / ١١-١٣ .

تَعَالَى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ، أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾(١)، وَأَمَّا أَصْحَابُ النُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ، وَأَرْبَابُ القُلُوبِ الطَّاهِرَةِ النَّقِيَّةِ، فَإِنَّهُمْ يُسَارِعُونَ إِلَى امتِثَالِ أَمْرِ الخَالِقِ الكَرِيمِ، اعترَافًا مِنْهُمْ بِمقَامِهِ العَظِيمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٢)، وَلِتَزْكِيَةِ النَّفْسِ شَرَعَ اللهُ الفَضَائِلَ وَالعِبَادَاتِ، وَحَثَّ عَلَى المَكَارِمِ وَالطَّاعَاتِ، وَحَرَّمَ الفَوَاحِشَ وَالمُنْكَرَاتِ، وَمِنْ أَعْظَمِ مَا شَرَعَ اللهُ لِذَلِكَ الصَّلَاةُ، بِمَا تَتَضَمَّنُهُ مِنْ ذِكْرٍ وَتَسْبِيحٍ وَمُنَاجَاةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾(٣)، إِنَّ إِقَامَةَ الصَّلَاةِ تَجْعَلُ صَاحِبَهَا بَعِيدًا عَنِ الوُقُوعِ فِي المَعَاصِي وَالمُنْكَرَاتِ، لأَنَّ المُقِيمَ لَهَا يَستَنِيرُ قَلْبُهُ، وَيَزْدَادُ إِيْمَانُهُ، وَتَقْوَى رَغْبَتُهُ فِي الخَيْرِ، وَيَنْتَهِي عَنِ الشَّرِّ، وَتَأْتِي بَعْدَ عِبَادَةِ الصَّلَاةِ عِبَادَةُ الصَّوْمِ، فَهِيَ رِيَاضَةٌ رُوحِيَّةٌ وَبَدَنِيَّةٌ، تَزْكُو فِيهَا النَّفْسُ وَتَستَجِيبُ لِنِدَاءِ الطَّاعَاتِ، فَتَقْوَى لَدَيْهَا الخَشْيَةُ مِنَ اللهِ، وَالرَّغْبَةُ فِيمَا يُقَرِّبُ مِنْ عَفْوِهِ وَرِضَاهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٤).

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

مِنْ أَهَمِّ العِبَادَاتِ الَّتِي تُهَذِّبُ النُّفُوسَ، وَتُنِيرُ القُلُوبَ عِبَادَةُ الحَجِّ وَشَعَائِرُهُ العِظَامُ، لِمَا فِيهَا مِنْ مَشَاعِرِ الخُضُوعِ لِذِي الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ، وَمَظَاهِرِ التَّوَاضُعِ لِلأَنَامِ، وَلأَهَمِّيَّةِ هَذِهِ المَعَانِي النَّبِيلَةِ، وَتِلْكَ الأَحَاسِيسِ الإِيْمَانِيَّةِ الجَلِيلَةِ؛ حَثَّ الإِسْلَامُ عَلَى اغْتِنَامِ أَجْوَاءِ الحَجِّ لِتَزْكِيَةِ النَّفْسِ، وَتَهْذِيبِ السُّلُوكِ وَالحِسِّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ

(١) سورة الزخرف / ٥١-٥٢ .
(٢) سورة النور / ٥١ .
(٣) سورة العنكبوت / ٤٥ .
(٤) سورة البقرة / ١٨٣ .

ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1]، ولَمْ يَقْتَصِرِ الأَمْرُ بِذَلِكَ عَلَى الحُجَّاجِ وَالمُعْتَمِرِينَ، بَلْ تَعَدَّاهُمْ إِلَى جَمِيعِ المُؤْمِنِينَ، فَقَدْ شَهِدَ الرَّسُولُ ﷺ بِأَنَّ الأَيَّامَ العَشْرَ الأُولَى مِنْ ذِي الحِجَّةِ هِيَ أَفْضَلُ الأَيَّامِ، وَحَثَّ عَلَى اغْتِنَامِهَا وَالإِكْثَارِ مِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ فِيهَا، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُما – عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ وَلا أَحَبُّ إِلَيْهِ العَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ العَشْرِ؛ فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ))، وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالَّتِي بَعْدَهُ))، وَهَكَذَا نَجِدُ سَائِرَ العِبَادَاتِ، ذَاتَ أَثَرٍ كَبِيرٍ فِي تَزْكِيَةِ النُّفُوسِ، وَكُلَّمَا زَادَ المَرْءُ مِنَ الطَّاعَاتِ وَأَكْثَرَ، زَكَتْ نَفْسُهُ وَسَمَا وَتَطَهَّرَ، حَتَّى يَصِيرَ رَبَّانِيَّ السِّيْرَةِ، نَقِيَّ القَلْبِ وَالسَّرِيرَةِ، فَيَظْفَرَ بِمَحَبَّةِ اللَّطِيفِ الخَبِيرِ، وَيَنْسَاقَ لَهُ التَّسْدِيدُ وَالخَيْرُ الكَثِيرُ.

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

مِمَّا يُعِينُ المَرْءَ عَلَى تَزْكِيَةِ نَفْسِهِ وَتَهْذِيبِهَا، التَّفَكُّرُ فِي عِظَمِ المَخْلُوقَاتِ مِنْ حَوْلِهِ، وَخُضُوعِهَا لِخَالِقِهَا مُعْلِنَةً انْقِيَادَهَا وَطَاعَتَهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ، ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[2]، وَالحَرِيصُ عَلَى تَزْكِيَةِ نَفْسِهِ، يُحَاسِبُهَا عَلَى مَا قَدَّمَتْ فِي يَوْمِهِ وَأَمْسِهِ، وَمَا أَعَدَّتْ لِغَدِهِ وَرَمْسِهِ، فَإِنَّ مَنْ حَاسَبَهَا خَافَ الزَّلَلَ، وَأَيْقَنَ ضَرُورَةَ الجِدِّ وَالعَمَلِ، وَمَنَ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَكْيَسُ النَّاسِ؟ قَالَ: ((أَكْيَسُ النَّاسِ أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أُولَئِكَ الأَكْيَاسُ، أُولَئِكَ الأَكْيَاسُ))، وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

(١) سورة البقرة / ١٩٧ .

(٢) سورة آل عمران/ ١٩٠-١٩١.

- أَنَّهُ قَالَ: حَاسِبُوا أَنفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ مِنَ الحِسَابِ غَدًا أَنْ تُحَاسِبُوا أَنفُسَكُمُ اليَوْمَ، وَتَهَيَّؤُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾(١)، إِنَّ المُؤْمِنَ يَحْفَظُ جَوَارِحَهُ عَنْ جَمِيعِ المَعَاصِي، وَيَعْلَمُ أَنَّ رِبْحَ ذَلِكَ الجَنَّةُ وَخَسَارَتَهُ النَّارُ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ تَعَالَى -، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ، وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ، فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ، فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾(٢)، حَتَّى الأَنْبِيَاءُ وَالمُرْسَلُونَ، وَالأَبْرَارُ المُتَّقُونَ، كَانَ دَافِعُهُمْ إِلَى التَّزْكِيَةِ، مُرَاقَبَةَ اللهِ تَعَالَى وَخَشْيَتَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(٣).

أَلاَ فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ -، وَزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ تَفُوزُوا وَتُفْلِحُوا، وَاغْتَنِمُوا العَشْرَ الأَوَائِلَ مِنْ ذِي الحِجَّةِ بِالإِكْثَارِ مِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يُقَرِّبُكُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى؛ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَيُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الْحَمْدُ للهِ الآمِرِ بِالبِرِّ وَالصَّلاحِ، المُتَفَضِّلِ بِالهِدَايَةِ إِلَى طَرِيقِ الفَلاحِ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى سَيِّدِ الأَنَامِ وَمِسْكِ الخِتَامِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:

---

(١) سورة الحاقة / ١٨ .

(٢) سورة النازعات / ٣٧ .

(٣) سورة يونس / ١٥ .

إِنَّ تَزْكِيَةَ النَّفْسِ لَيْسَتْ ظَاهِرَةً احتِفَالِيَّةً مَحْدُودَةَ الزَّمَانِ، وَلا عَوَاطِفَ جَيَّاشَةً مَا تَلْبَثُ أَنْ تَثُورَ حَتَّى تَغُورَ، بَلْ هِيَ مَنْهَجُ حَيَاةٍ، وَسُلَّمُ نَجَاةٍ، وِعَاؤُهَا عُمُرُ الإِنْسَانِ، يَعْمُرُهُ بِالطَّاعَةِ وَالبِرِّ وَالإِحْسَانِ، وَيُشَيِّدُ صَرْحَهُ بِالخُضُوعِ وَالإِذْعَانِ للهِ الوَاحِدِ الدَّيَّانِ، وَالمَرْءُ لَنْ يَتَزَكَّى حَتَّى يَنْقَادَ انْقِيَادًا مُطْلَقًا، وَيُسَلِّمَ نَفْسَهُ للهِ تَسْلِيمًا مُحَقَّقًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[1]، عِنْدَ ذَلِكَ يَتَذَوَّقُ المَرْءُ حَلاوَةَ الإِيْمَانِ، وَيَجِدُ لَذَّةَ الخُضُوعِ وَالإِحْسَانِ، وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ))، عَلَى أَنْ يَكُونَ هَذَا الاتِّبَاعُ لِكُلِّ مَنَاحِي الحَيَاةِ شَامِلاً، وَمَدَى الدَّهْرِ ثَابِتًا مُتَوَاصِلاً، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2]، فَمَتَى يَتَزَكَّى مَنْ يُعَلِّقُ طَاعَتَهُ للهِ بِسَيِّئِ العَادَاتِ، وَيَشْرِطُ خُضُوعَهُ بِمُوَافَقَةِ مَا يَهْوَى مِنَ الرَّغَبَاتِ؟! قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ، وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[3].

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

إِنَّ تَزْكِيَةَ النَّفْسِ لا تَعْنِي اعْتِزَالَ الخَلْقِ وَالانْقِطَاعَ، بَلْ هِيَ مُجَاهَدَةٌ لِلنَّفْسِ قَدرَ المُستَطَاعِ، بَعِيدَةٌ عَنْ طُرُقِ الجَهْلِ وَالابْتِدَاعِ، فَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – كَانَ مَضْرِبَ المَثَلِ فِي تَرْبِيَةِ النَّفْسِ وَتَزْكِيَتِهَا، وَحَمْلِهَا عَلَى الفَضَائِلِ وَتَهْذِيبِهَا، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ مُعَايِشًا لِعَصْرِهِ، عَامِلاً عَلَى الارتِقَاءِ بِحَالِهِ وَأَمْرِهِ، فَكَانَ لَهُ قَصَبُ السَّبْقِ فِي تَنْمِيَةِ البِلادِ، وَتَنْظِيمِ شُؤُونِ العِبَادِ، فَقَدْ وَضَعَ التَّأْرِيخَ الهِجْرِيَّ استِقْلالاً لِلأُمَّةِ، وَأَنْجَزَ كَثِيرًا مِنَ الإِصْلاحَاتِ الاجتِمَاعِيَّةِ، وَالأَعْمَالِ الإِدَارِيَّةِ.

---

(١) سورة النساء / ٦٥ .

(٢) سورة الأنعام / ١٦٢ .

(٣) سورة لقمان / ٢١-٢٢ .

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ بِالطَّاعَاتِ، وَالتَّخَلِّي عَنْ جَمِيعِ المَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ؛ يَكْتُبِ اللهُ لَكُمُ السَّعَادَةَ فِي الحَيَاةِ وَبَعْدَ المَمَاتِ.

هَذَا وَصَلُّوْا وَسَلِّمُوْا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، فِي العَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِيْنَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُوْمًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلاًّ مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيْبًا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيْمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِيْنًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالاً طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوْفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ.

---

(١) سورة الأحزاب / ٥٦ .

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِيْنَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِيْنَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الخَاسِرِيْنَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدَّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.